فهرس احسن الأفعال

في تربية الأطفال

مركز آل البيت (عليهم السلام) العالمي للمعلومات

المقدمة
تربية الطفل في الإسلام
أثر التربية على المجتمع
تقويم السلوك
أفضلُ سُبُلِ التعاملِ مع الأبناء
المرحلة الأولى
المرحلة الثانية
المرحلة الثالثة
العنادُ عندَ الأطفالِ
١ ـ إشباع حاجات الطفل
٢ ـ الاهتمام بوجودِ الطفلِ
٣ ـ تَمَتُّع الطفل بالحركة الكافية
مظاهر الغِيرة عند الطفل وكيفية معالجتها
هل تجب المساواة بين الأبناء؟
المقارنة بين الأبناء
كيف نعالج الغيرة عند الأبناء؟
١ ـ إشعار الطفل بأنه كبير
٢ ـ إعطاؤه جملة من الامتيازات
٣ ـ رفضُ إيذاءِهِ وقبولُ مشاعرهِ
٤ ـ الشجار بين الأخوة
السلوكُ الحَسَنُ لدى الطفلِ
الأول ـ التعليم والإرشاد
١ ـ ممارسة الوالدين للآداب
٢ ـ تعليمِ الطفل دون غضب وتوتر
الثاني حُبُّ الناس
أ ـ سلوك الوالدين
ب ـ المرور بالحوادث بوعي
الطُرُقُ المؤدية إلى إخماد غريزة حُبِّ الآخرين
أولاً ـ التعلُّم من الوالدين
ثانياً ـ أثر القصص الهَدَّامة
ثالثاً الإكراه في الكرم
العقوبة والتهديد
١ ـ سوء السلوك
٢ ـ التصرفات الخاطئة
٣ ـ العناد
التهديد
مظاهر التوتر عند الطفل وأسبابه
١ ـ ضعف الثقة بالنفس
٢ ـ الجُبن
٣ ـ تقليد الآخرين
٤ ـ ازدياد حالة الغضب
أسباب التوتر
١ ـ التعامل معه بِحِدَّة
٢ ـ تعرضه للعقوبة القاسية
٣ ـ شعوره بالغيرة
٤ ـ توجيه الإنذارات إليه
وأخيراً وليس آخراً
الغضبُ عند الطفلِ وعلاجُه
١ ـ تنفيذ ما يريده بعد غضبه
٢ ـ معاملتُهُ بِلُطفٍ عندَ غضبِهِ
٣ ـ إصابته بتوتر النفس
٤ ـ توجيه الأوامر إليه بصرامة
العلاج
١ ـ عدم مناقشته
٢ ـ قبول غضبه
٣ ـ عدم معاقبته
٤ ـ الاستمرار بالمطالبة

أسباب السرقة عند الأطفال
١ ـ العلاقة مع الوالدين
ثانياً ـ الشعور بالعُزلة
كيف نتعامل مع السارق
أسبابُ الكذب عند الأطفالِ وآثاره
١ ـ جلب الانتباه
٢ ـ تعرضه للعقوبة
٣ ـ واقع الوالدين
تبعات الكذب في نفسية الطفل
مطالعةُ الأطفالِ للكتُبِ
أولاً ـ من ٢ إلى ٤ سنوات من العمر
ثانياً ـ من ٤ إلى ٦ سنوات من العمر

المقدمة :

تمتلك النفس الإنسانية نوعين من الغرائز ، هما : الغرائز المادية والغرائز المعنوية ، فالأولى هي التي تدفع الإنسان نحو تناول الطعام وشرب الماء والهروب من الأخطار وممارسة الجنس وما شابهها ، ويشترك كل من الإنسان والحيوان في هذا النوع من الغرائز .

والثانية هي التي تدفع الإنسان نحو طلب العلم ، وحُبّ الخير ، والتضحية والايثار ، وإلى كل النشاطات التي تميزه عن الحيوان ، والتي من خلال تَنمِيَتِهَا يحصل الإنسان على سعادته في الحياة الدنيا والآخرة .

وقد حاولنا في هذا البحث أن نَعرِضَ جملة من أساليب تنمية الغرائز المعنوية عند الأطفال ، لينتفع منها كل من يَوَدُّ أن يربيَ أطفاله التربية التي تجعلهم في المستقبل قادرين على مواجهة كل ما يعترض سيرهم نحو التقدم والتكامل والرقي.

كما كان من بواعث إعدادنا لهذا البحث ، هو افتقار المكتبة العربية للكتب التي تتناول المواضيع التربوية من وجهةِ نظرٍ إسلامية ، وقد راعينا فيه أسلوباً مبسطاً يَنسَجِمُ مع أذواق الأمهات اللاتي يرغَبنَ في تنشئة أطفالَهُنَّ النشأة الإسلامية الصحيحة ، ونسأله تعالى أن يوفقَنا لِسَدِّ جزء من هذا الفراغ في المكتبة العربية ، ومنه نستمد العون والسداد .

مركز آل البيت (عليهم السلام) العالمي للمعلومات

تربية الطفل في الإسلام

إن تربية الطفل تعني في المنظور الإسلامي إنماء الغرائز المعنوية والاهتمام باعتدال الغرائز المادية ، فسعادة الطفل تتحقق في التعامل الصحيح مع نفسه ، ويتخلص الطفل من الألم حين يمتلك الوقاية من الإصابة بما يخل توازنه النفسي كالحسد والعناد والكذب وإلخ .

ويجدر بالوالدين إمتلاك الوعي تجاه هذه الحقيقة التي أوجبها الإسلام عليهما (أمٍّ وأبٍّ) لما فيها من أثر كبير على المجتمع .

أثر التربية على المجتمع :

إن أكثر العظماء الذين قضَوا حياتَهم في خدمة الناس ، كانوا نِتَاج تربية صحيحة تَلَقَّوها في صغرهم فأثرت على صناعة أنفسهم فأصبحوا عظماء بها .

فمِنهُم هو نبي الله موسى (عليه السلام) الذي جعله الباري في القرآن رمزاً لمواجهة ظاهرة الفرعونية على الأرض .

فنجد أن طفولته (عليه السلام) كانت تحت رعاية أم وصلت من خلال تربيتها لنفسها إلى درجة من الكمال الإنساني بحيث يوحى إليها : وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى [القصص: ٧] .

ثم تلقفــته يد أخرى لــها مكانة أيضاً في مدارج التكــامل الإنساني وهي (آسية) زوجة فرعون التي تخلّت عن كل ما تَحلُمُ به المرأة من زينة ووجاهة اجتماعية مقابل المبدأ والحركة الرسالية .

فتعرضَت لوحشية فرعون الذي نشر جسدها بعد أن وَتَدَهُ على لوحة خشبية وهي تدعو : رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ [التحريم : ١١] .

وأصبحَت بذلك مثلاً ضربه الله للرجال والنساء المؤمنين : وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ [التحريم : ١١] .

وبالمقابل نجد أن أكثر من يَعيثُ في الأرض فساداً أولئك الذين وجدوا في صغرهم أيادي جاهلة تحيط بهم ، وبمراجعة بسيطة في مزبلة التأريخ تلحظ طفولة المجرمين والطغاة نساءاً ورجالاً قاسية وجافة بسبب سوء التعامل معهم .

جاء في الحديث الشريف : (قلب الحدث كالأرض الخالية ، ما أُلقي فيها من شيء قبلته) [الوسائل : باب ٨٤] .

وفي آخر : (بادروا (أحداثَكم) بالحديث قبل أن تسبقَكم إليه المرجئة) [الوسائل : باب ٨٤] .

فمن الحديث الأول يتضح أن نفسية الطفل كالأرض الخالية التي تنبت ما أُلقي فيها من خير أو شر .

ومن الحديث الثاني تتضح ضرورة الإسراع في إلقاء مفاهيم الخير في النُّفُوس الخَصبة قبل أن يسبقنا إليه المجتمع ليَزرَع فيها أفكاراً أو مفاهيم خاطئة .

تقويم السلوك :

وتبقى التربية في الصِغَر عاملاً مؤثراً على سلوك الفرد وليس حتمياً ، بمعنى أن الفرد حين يكبر بإمكانه أن يعدِّلَ سلوكه وفكره فيما لو تلقى تربية خاطئة في صِغَرِهِ ، فله أن يَجتَثَّ في سن الرشد أصول الزرع الشائك الذي بذره الوالدان في نفسه صغيراً ، وبإمكانه أن يزيلَ العقد ويمحو الرواسب التي خلَّفَتها التربية الخاطئة .

وقد جاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) : (إنّ نُطفةَ المؤمنِ لَتَكون في صُلبِ المشركِ فلا يصيبُها من الشرِّ شيء ، حتى إذا صار في رحم المشركة لم يُصِبهَا من الشرِّ شيء ، حتى يجري القلم) [الكافي : ٢] .

ويعني بـــ(حتى يجري القلم) هو بلوغ الفرد مرحلة الرُّشد والتكليف ، فيكون مسؤولاً عن نفسه وعمله ليحصل بذلك على سعادته وشقائه باختياره وإرادته .

أفضلُ سُبُلِ التعاملِ مع الأبناء

إن الشريعة الإسلامية تُلزِمُ الوالدينِ بأنواع من أساليب التعامل ، وهذه الأساليب مُوَزَّعَةً على مراحل ثلاث من حياة الأبناء ، وينبغي للوالدين معرفة حاجات الأبناء في كل مرحلة .

وهذه المراحل هي باختصار كما يَلِي :

المرحلة الأولى :

وفي هذه المرحلة ينبغي على الوالدين التعامل مع الطفل على أساس حاجته التي تَتَمَيَّزُ بما يلي :

١ ــ اللَّعِب .

٢ ــ السِّيَادَة .

وكما جاء في النـــصوص الشـــريفة عن النبي (صلى الله عليـــه وآله) : (الولدُ سيِّدُ سبعِ سنين) [بحار الأنوار : ج : ١٠١ ، باب فضل الأولاد] .

وعن الإمـــام الصادق (عليـــه السلام) : (دَعِ ابنَكَ يلعبُ سَبعَ سنين) [المصدر السابق] .

وعنه (عليه السلام) أيضاً : (أهَمِل صبيَّكَ تأتي عليه ستٌّ سِنِين) .

ولِعبُ الطفلِ التي تتحدث عنه الروايةُ تعني عدمَ إلزامِهِ بالعمل فيما يتعلم من والديه ، وسيادَتُهُ تعني قبولَ أوامره دون الائتمار بما يطلبه الوالدان ، أما إهماله فهو النهي عن عقوبته .

فهذه المرحلة تكون نفسية الطفل بيد والديه كالأرض الخصبة بيد الفلاح تَتَلَقَّفُ كلَّ ما يَبذُرُ فيها من خيرٍ أو شرٍّ .

المرحلة الثانية :

وهي تشمل السبع سنين الثانية من العمر ، وفي هذه المرحلة يَجدُرُ بالوالدين التعامل مع الطفل على أساس :

١ ــ تدريب الطفل على تَلبيةِ أوامرِ والديه .

٢ ــ المُبادرَةُ إلى تأديب الطفل وتهذيبه .

فقد جاء في النصوص الشريفة عن النبي (صلى الله عليه وآله) : (الولدُ سيدُ سبعِ سنين ، وعبدُ سبعِ سنين) .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : (دَعِ ابنَكَ يلعبُ سبعَ سنين ، ويُؤَدَّبُ سبعاً) .

وعنه (عليه السلام) أيضاً : (أهمِل صبيَّك تأتي عليه ستُّ سنين ، ثم أدِّبهُ في ستِّ سنين) .

وعُبوديةُ الطفل تعني طاعة والديه فيما تَعَلَّم منهم في المرحلة الأولى ، وتأديبُه يعني التزامَه بالنظام وتحمله للمسؤولية ، وهذه المرحلة بالنسبة للوالدين تشبه عند الفلاح وقت نُمُوِّ الزرعِ وظهورِ الثَّمرِ الذي بَذَرَهُ فيما سبق .

المرحلة الثالثة :

وتكون في الرابعةِ عشر من العمر فما بعد ، وتختلف هذه المرحلة عن الثانية في أن الأبناء أصبحُوا في المستوى الذي يُؤَهِّلُهُم لاتخاذ المكانة المرموقة في الأسرة ، فالولد (ذكرٍ أو أنثى) في هذه المرحلة :

١ ــ وزيرٌ لوالديه .

٢ ــ مستشارٌ لهما .

فقد جاء في الحديث الشريف عن النبي (صلى الله عليه وآله) : (الولدُ سيدُ سبعِ سنين ، وعبدُ سبعِ سنين ، ووزيرُ سبعِ سنين) .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : (دَعِ ابنَكَ يلعبُ سبعُ سنين ، ويُؤَدَّبُ سبعاً ، وأَلزِمهُ نفسَك سبعَ سنين ، فإن أفلَحَ وإلا فإنهُ لا خيرَ فيه) .

وعنه (عليه السلام) أيضاً : (أهمل صبيَّك تأتي عليه ستُّ سنين ثم أدِّبهُ في الكتابِ ستَّ سنين ، ثم ضُمَّهُ إليكَ سبعَ سنين ، فأدِّبهَ بأَدَبِكَ ، فإن قبل وصلح وإلا فَخَلِّ عنه) .

ففي هذه المرحلة يكون الولد كالنبات الذي حان وقتُ قطفِ ثِمَارِهِ ، فهو وزيرٌ لوالديه كالثمر للفلاح ، ووزير المــلك الذي يحــمل ثِقلَهُ ويُعِيــنَه برأيه . [مجمع البحرين ، مادة : وَزَرَ] .

ثم إن إلزامَ الوالدين للولد في هذه المرحلة وضَمَّهُمَا إليه كما جاء في النصوص الشريفة تعني كونه مُستَشَاراً لهما ، وهذا هو الأمر الذي يُؤَدِّي إلى قُربِهِ ودُنُوِّهِ من والديه .

وأما إذا كان الولد في هذه المرحلة غير مُؤَهَّل لهذا المنصب في الوزارة والاستشارة ، فهذا يَرجِعُ إلى سوء اختيارهِ لطريقة مَمشَاهُ في الحياة .

وعلى هذا لا ينفع اتخاذ سبيل الشِدَّة معه ، أو الإلحاح على تهذيبه وتعديل سلوكه ، وهو ما تشير إليه الرواية (فَخَلِّ سَبيلَهُ) أو (فإنه لا خيرَ فيه) .

العنادُ عندَ الأطفالِ

إن عنادَ الأطفال هو مشكلة تعاني منها أكثر الأُمَّهَات ، وهو مصدرُ تعبٍ ونكدٍ لَهُنَّ . والأمُّ تحرص دوماً على طاعة ولدها لها ، ولذا تبقى متحيرةً حِيَالَ رفضه لما تريد منه ، ولا تدري كيف تتصرف إزاء عناده .

و العناد – في الحقيقة – ليس غريزة تولد مع الطفل كما يتصَوَّرنَ بعضُ الأمهاتِ ، بل هو مؤشرٌ على خللٍ في نفسية الطفل نتيجة سوء التعامل مع غرائزه الفطرية النامية في المرحلة الأولى من عمره .

فالطفل حين بلوغه السنتين تبرزُ استعداداته الفطرية التي تحتاج إلى رعاية واهتمام لبناء شخصيتِهِ المُتَّزِنة ، وأيُّ خطأ أو انحراف عن الطريق الصحيح والسليم يجعله معانداً ، فالعناد إشارة حمراء تُرشِدُ الوالدين على ضرورة تقويم وتعديل سلوكهم .

ولـــذا جاء في الحديث الشريف : (رَحِمَ اللهُ مَن أعانَ وَلَدَهُ على بِرِّهِ) . [عدة الداعي : ص ٦١] .

ولكي يتجنب الوالدان حالة العناد عند أبنائهم لا بُدّ من الإشارة إلى كيفية التعامل الصحيح مع الطفل في المرحلة الأولى من حياته .

وهي كما يلي :

١ ــ إشباع حاجات الطفل :

إن الطفل في المرحلة الأولى من عمره (من ١ إلى ٧ سنين) يحتاج إلى الحُبِّ والحنان لتنمية قدراته النفسية ، كما يحتاج إلى الطعام والماء لتنمية قدراته الجسدية .

وكل فرد يحتاج إلى قوة النفس لممارسة نشاطاته الحياتية ، وتُعتَبَرُ حَجَرُ الأساس في النجاح في الممارسات اليومية .

وتاريخُنا الإسلامي يسجل للأمة الإسلامية قوتها وصلابتها في مواجهة قريش وعدَّتِها وعددها بما أوتِيَت من ثقة بالنفس يحمله أفرادها .

إضافة إلى أن باب خيبر الذي يعجز الرجال الأشداء عن حمله استطاع أن يحمله أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوته النفسية .

ومن هنا ، يتضح لنا ضرورة إشباع حاجة الطفل من الحُبِّ والحنان ، ويتضح أيضاً سببُ تأكيدِ التربية الإسلامية على ذلك ، ونلحظه في النصوص التالية :

عن النبي (صلى الله عليه وآله) : (أحِبُّوا الصِبيان وارحَمُوهُم) [بحار الأنوار : ج : ١٠١ ، باب فضل الأولاد] .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : (إن اللهَ لَيَرحَم الرجلَ لشدَّةِ حُبِّهِ لولدِهِ) .

وعنه (عليه السلام) أيضاً : (برُّ الرجل بولَدِهِ برُّهُ بوالدَيه) [من لا يحضره الفقيه : ج : ٣ ، باب فضل الأولاد] .

ولا يكفي أن نحمل الحُبَّ لأولادنا في قلوبنا فحسب ، بل ينبغي للوالدين إظهار ذلك لهم من خلال السلوك والتعامل معهم .

وقد جاء في الحديث الشريف عن الإمام علي (عليه السلام) : (من قَبَّــلَ ولدَهُ كانَ لهُ حَسَنَةٌ ، ومن فرَّحَهُ فرَّحَهُ اللهُ يومَ القيامة) [بحار الأنوار : ج : ١٠١ ، باب فضل الأولاد] .

وورد أنه جاء رجلٌ إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : ما قبّلت صبياً قَطٌّ ، فلما ولَّى قال النبي (صلى الله عليه وآله) : (هذا رجل عندنا إنه من أهل النار) [المصدر السابق] .

ومن أبرز مصاديق إظهار المحبة للأولاد هو إدخال الفرح والسرور على قلوبهم من خلال حمل الهدايا لهم والتوسعة عليهم .

وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله) : (من دخل السوق فاشترى تُحفَةً فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم مَحَاويجٍ ، وليبدأ بالإناث قبل الذكور ، فإنه من فرَّح إبنه فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل) .

وورد عنه (صلى الله عليه وآله) : (ليس منا من وُسِّع عليه ثم قَتَّر على عياله) [المصدر السابق] .

٢ ــ الاهتمام بوجودِ الطفلِ :

إن الطفل بحاجة أيضاً في السبع السنوات الأولى من حياته إلى شعوره بأنه يحتلُّ في قلوب والديه مكاناً مهماً سواء كان ذكراً أو أنثى ، ذكياً أو بليداً ، جميلاً أو قبيحاً .

وينبغي للوالدين الانتباه إلى هذه الناحية ، فعليهم الإصغاء إليه حينما يتحدث ، وأَخذُ مشورته في القضايا العائدة إليه ، واحترامُ رأيه حين يختار .

ونحن نلحظ أن الشريعة الإسلامية توجهنا إلى هذه المعاني ، ففي قصة النبي إبراهيم (عليه السلام) نجد أنه عندما جاءه الأمر الإلهي في ذبح ولده إسماعيل قد استشار ولده في ذلك قائلاً : يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى [الصافات : ١٠٢] .

وكذلك نجد سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت تحرص على إسماعِ أبنائِها دعاءَها لهم في صلاة الليل مع استحباب اخفائه ، والسبب واضح لتأكيد اهتمامها بهم وبأنهم يَحتلُّونَ في قلبها المكانة الرفيعة .

ومن المؤسف أن نَجِدَ بعض الآباء لا يهتمون بأبنائهم ، فنجدهم – على سبيل المثال – يتجاهلونهم في مَحضَرِ الضيوف ، فلا يُقدِّمون لهم الطعام ولا يمنحونهم فرصة الحديث في المجلس وغير ذلك .

٣ ــ تَمَتُّع الطفل بالحركة الكافية :

لا بُدّ أن يتمتعَ الطفل بالحرية في المرحلة الأولى من حياته ، فلا بُدّ أن يجد المكان المناسب له في لعبه وحركته وترتيب لوازمه دون تدخُّلِ الكبار ، ولا بُدّ أن يجد الحرية في الحركة دون تحذير .

وكذلك لا بُدّ أن لا يجد من يعيد ترتيب ممتلكاته بعد أن رتبها بنفسه ، وأن يجد الحرية في ارتداء ما يعجبه من الملابس واختيار ألوانها .

فما دام هو السيد في هذه المرحلة وهو الأمير فلا بُدّ أن يكون ترتيب البيت بشكل يتناسب مع حركته ووضعه ، كما يجدر بالوالدين التَحَلِّي بالصبر للحصول على النتائج والثمار الحسنة .

مظاهر الغِيرة عند الطفل وكيفية معالجتها

إن كثرة الأولاد ليست سبباً في شِجارِ الإخوة فيما بينهم كما يتصورن بعض الأمهات الكريمـــات ، بل الغيرة هيَ من أهم أسباب العراك بين أبناء الأسرة ، وهي من الأمراض التي تدخل البيوت بدون إذن فَتَسلُبُ منها الراحة والاستقرار .

ولذا ينبغي الحرص على سلامة صحة الطفل النفسية في السبع سنوات الأولى من عمره أكثر من الاهتمام بصحته الجسدية ، وكثير من الأمراض الجسدية التي تُصيب الطفل في هذه المرحلة تكون نتيجة لسوء صحته النفسية .

والغيرة من الأمراض النفسية الخطيرة التي تصيب الطفل في المرحلة الأولى من حياته فتسلب قدرته وفعاليته وحيويته في أعماله وسلوكه .

ويمكن للوالدين تشخيص المرض عند أطفالهم من معرفة مظاهره ودلائله ، فكما أن الحُمَّى تدلُّ على وجود الالتهاب في الجسم ، كذلك للغيرة علائم بوجودها نَستَدِلُّ عليها .

وفي السطور القادمة سنتحدث عن مظاهر الغيرة عند الطفل .

إن من أبرزِ معالم مرض الغيرة هو الشجار بين الإخوة ، وكذلك بكاء الإبن الصغير لأَتفَهِ الأسباب ، فقد نجده في بعض الأحيان يبكي ويعلو صراخُه لمجرد استيقاضه من النوم ، أو لعدم تلبية طلبه بالسرعة الممكنة ، أو لسقوطه على الأرض .

أما العَبَث في حاجات المنــزل فهو مَظهَرٌ آخر للغيرة التي تحرق قلبه وبالخصوص حين ولادة طفل جديد في الأسرة .

وكذلك الانزواء وترك مخالطة الآخرين فهو أخطر مرحلة يَصِلُ إليها الطفل الذي يعاني من الغيرة .

وحين انزواء الطفل قد يتصور الوالدان أنه لا يَوُدُّ الاختلاط مع أقرانه ، أو أن له هواية معينة تدفعه إلى عدم اللعب معهم ، أو أنه هادئ ووديع يجلس طوال الوقت جَنبَ والديه في زيارتهم للآخرين .

ولا يعلم الوالدان أن الغيرة حينما تصلُ إلى حدِّها الأعلى ، فإنها تقضي على مرح الطفل وحيويته ، وتجعله يترك الاختلاط مع الآخرين وينطوي على نفسه .

إن الغيرةَ وأيَّ مرضٍ نفسي أو جسدي لا بُدّ أن يأتي عارضاً على سلامتنا ، ولا يمكن أن يكون فطرياً ، فالسلامة هي أصل الخلقة وهي من الرحمن التي ألزم الله بها نفسه عزَّ وَعَلا كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ [الأنعام : ٥٤] .

والغيرة عند الطفل تبدو واضحة للوالدين في مرحلته الأولى ، وتختفي مظاهرها فقط بعد السابعة ، حيث يتصور الوالدان أن طفلهما أصبح كبيراً لا يَغَارُ ، وهو خطأٌ .

فالطفل في المرحلة الثانية من حياته يَقِلُّ اهتمامه واعتماده على والديه ويجد له وسطاً غير الأسرة بين أصدقائه ورِفاقه في المدرسة أو الجيران ، ولا تنعكس مظاهرها إلا في شجاره مع إخوانه في الأسرة .

أما في المجتمع فله القِسطُ الأوفرُ من آثار الغيرة التي يُصَابُ بها الأبناء .

وأسباب الغيرة عند الطفل في المرحلة الأولى من عمره ، كالتالي :

إن الكائن البشري سواء كان صغيراً أو كبيراً ، إمرأةً أو رجلاً ، أسوداً أو أبيضاً ، فهو يمتلك قيمة وجودية من خلال سجود الملائكة له : وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ [البقرة : ٣٤] .

إضافة إلى أن كلَّ المخلوقات جاءت لتأمين احتياجاته ومُسَخّرَةً لخدمته : وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ [الجـــاثية : ١٣] .

وقد جاء في الحديث القدسي : (يا ابنَ آدم خلقتُ الأشياءَ لأجلِكَ وخَلَقتُكَ لأَجلي) .

كما أن الإنسان بخلاف الكائنات الأخرى ، فإنه يحمل نفحة من روح الله سبحانه وتعالى .

فإنه قد وَرَدَ في القــرآن الكريم : فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي [ص : ٧٢] .

ولأهمية الكائن البشري اختصت به الأحكام الإلهية منذ ولادته ، مثل حرمة قتله ووجوب دفع الدية حين تعرضه لأي أذىً مثل خدشهِ أو جرحهِ .

وينبغي عدمُ تَعَرُّضِهِ للأذى حتى في الطريق الذي يسير فيه بأن ترمي الأوساخ فيه أو تقطع الطريق عنه بسيارة أو حاجة ، أو حتى وقوفك للصلاة فيه.

وإلى غير ذلك من الأحكام الشرعية التي تعكس لنا مَدَى اهتمام الخالق بوجود الإنسان ووجوب احترامنا له .

وحين يتعرض الطفل إلى تجاهل الآخرين يبرز العناد كوسيلة دفاعية لما يتعرض له من أذى في عدم الاهتمام به ، كذلك حين يهتم الوالدان بواحد ويتجاهلان الآخر .

ولقد رفض الشارع الإسلامي هذا التعامل مع الإبن لأنه يزرع الحقد في قلبه لأفراد أسرته وحتى لأبويه وللناس .

فلقد أبصر رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجلاً له ولدان فَقَبَّــلَ أحدَهُما وترك الآخر ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (فَهَلا واسَيتَ بينهما) [من لا يحضره الفقيه : ج : ٣ ، باب فضل الأولاد] .

هل تجب المساواة بين الأبناء ؟

إن التربية الإسلامية ترفض الاهتمام بطفل مقابل تجاهُلِهِمَا الآخر .

ولكن لا بأس بالاهتمام بواحد أو أكثر من الأبناء الآخرين مع عدم تجاهل أحد منهم .

والقرآن الكريم حينما يتعرض إلى قصة يوسف وإخوته الذين حقدوا عليه وألقوه في البئر يَقُرُّ بأن نبي الله يعقوب (عليه السلام) كان يهتم ويحب جميع أبنائه ، ولكنه يخص يوسف بنصيب أكبر لما يجد فيه من خيرٍ يفوقُ إخوتَه .

فورد في الآية الكريمة عن لسان إخوة يوسف : إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا [يوسف : ٨] .

ولم يقل إخوة يوسف أن أباهم كان ينفرد بِحُبٍّ يوسف دونهم ، لأن تفضيل الوالدين لطفل على آخر ــ مع عدم تجاهل أي أحد من الأبناء ــ يدفع بالجميع إلى منافسة الطفل – الذي اختص بالعناية – في الميزة التي لأجلها اكتسب الأفضلية في قلب والديه ، وتجعل الأبناء في حَلَبَةِ السباق إلى فعل الخير .

ويجدر بالآباء أن يمتلكوا الحكمة في معرفة الميزة التي بها يتم التفضيل بين الأبناء .

مثل الاستجابة لفعل الخير والبرّ بالآخرين وامتلاك صفة الكرم والصبر على الأذى ، فمن الصحيح أن يُغدِقَ الوالدان الحُب لطفل أهدى لعبتَهُ المُحَبَّبَةَ لآخر مستضعف قِبال إخوته الذين يحرصون على أشيائهم .

إن هذا التفضيل يدفعهم إلى منافسته في هذا الفعل ، علماً بأن التربية الإسلامية لا تشترط التفضيل ، بل تراه صحيحاً .

فقد ورد عن أحد الرواة أنه قال :

سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن الرجل يكون له بنون ، أيفضل أحدهم على الآخر ؟

قال (عليه السلام) : (نعم لا بأس به قد كان أبي عليه السلام يفضلني على عبد الله) [من لا يحضره الفــقيه : ج : ٣ ، باب فضل الأولاد] .

وإن بعض الأمهات حين يفضلن طفلاً على آخر لامتلاكه صفة الجمال أو لأنه ذكر ، فإن هذا النوع من التفضيل خطأ في المنظور الإسلامي ، ذلك لأن الجمال أو الذكورة أو غيرها من المعاني لا يمكن التسابق فيها .

فلا يملك الطفل القدرة على أن يكون أجملَ من أخيهِ الذي اكتسب الحَظوَةَ عند أبيه ، وعندها لا يكون أمام الطفل إلا منفذ واحد للخروج من أزمته النفسية ، وهو الغيرة والحقد على من حوله في الأسرة والمجتمع .

وقد ورد عن مولى المتقين علي (عليه السلام) أنه قال : (ما سألت ربي أولاداً نُضُرَ الوجه ، ولا سألته ولداً حَسَنِ القامة ، ولكن سألت ربي أولاداً مطيعين لله وَجِلِينَ

منه ، حتى إذا نظرتُ إليه وهو مطيعٌ لله قُرّت عيني) [بحار الأنوار : ج : ١٠١ ، باب فضل الأولاد] .

المقارنة بين الأبناء :

إن مقارنة الوالدين بين الأبناء يُعتبرُ أمراً مزعجاً لهم ، فكما أن الزوجة تنـــزعج حين يطلب الزوج منها أن تكون مثل الجارة ماهرة في إعداد الحلوى ، كما يزعجها أيضا تعنيفه لها رافضاً منها أن تكون مثل الجارة مهملة في ترتيب البيت .

إضافة إلى الآثار الأخرى من انكماشها وعدم ارتياحها من الطرف الآخر المقارن معها .

فنفسية الطفل كذلك مثل الكبير ، فكما أن المقارنة تزعج الأم وكذلك الأب ، فهي تزعجه أيضاً ، فتصيبُه حالةٌ من التوتر مقابل أخيه المقارن معه .

لذا ينبغي على الوالدين عدم استعمال المقارنة بين الأبناء بالمديح أو الذم ، مثل أن تقول الأم لصغيرها : لماذا لا تكون مثل أخيك الذي يحافظ على ملابسه دوماً ، أو تقول : لا تبكِ وتكون مزعجاً مثل أخيك .

كيف نعالج الغيرة عند الأبناء ؟

إن معرفةَ الداءِ نصفُ الدواءِ ، كما يقول الحكماء ، ولذا فمعرفة أسباب الغيرة تنفعنا كثيراً في العلاج حين نتوقى العوامل المسببة للمرض .

إضافة إلى أن أَهَمَّ علاجٍ للغيرة يتركزُ في إشباع حاجتهم للحُبُّ والحنان مع الاهتمام بوجودهم وهي نفس الأسباب التي تدفعهم للعناد وعدم طاعة الوالدين .

فالغيرة والعناد قرينان حينما يبرز الآخر ، ففي بادئ الأمر يكون الطفل معانداً لأسباب مرّت ، فإذا لم يتم علاجه ، يتفاقم الأمر عليه ويُصاب بمرض الغيرة فلا ينسى الوالدان أن يسمعاه كلمات الحُبُّ والإطراء والتقدير والمديح والاهتمام بوجوده .

وقد تُثيرُ الأمُّ الحديثةُ العهدِ بالولادة سؤالاً حول إمكانية توزيع الاهتمام على كل الأبناء في وقت يأخذ الرضيع كل اهتمام الأم ووقتها ؟

والجواب أن الطريقة الصحيحية لمثل هذه الأم – التي حين تهتم برضيعها يقف الأكبر ينظر متألماً من الزائر الجديد الذي عزله عن والديه – أن تعالج الموضوع كما يلي :

١ ــ إشعار الطفل بأنه كبير :

إن الأم وهي ترضع صغيرها بإمكانها أن تتحدث مع الكبير قائلة : كم أتمنى أن يكبر أخوك ويصبح مثلك يأكل وحده وله أسنان يمضغ بها ، ويمشي مثلك و... حتى أرتاح

من رضاعته وتغيير فوطته ، ولكنه مسكين لا يتمكن من تناول الطعام أو السيطرة على معدته .

وتقول لطفلها الأكبر حين يبكي الرضيع وتهرع إليه : نعم جئنا إليك فلا داعي للبكاء ، إن أخاك سوف يعلمك أن تقول أني جوعان بدل الصراخ والضجيج .

وبهذه الكلمات وغيرها من التصرفات يمكن إشعاره بأنه كبير ، والصغير يحتاج إلى هذه الرعاية .

كما يحسن بالأم أن لا تُحِطَّ من قدرِ ولدها الأكبر بأن تقولَ له : لا تبك مثل أخيك الصغي ، أو لا تجلس في حضني مثل الصغار ، أو لا تشرب من زجاجة الحليب العائدة لأخيك الصغير .

٢ ــ إعطاؤه جملة من الامتيازات :

لا بُدّ من الحرص على إعطاء الولد الأكبر جملةً من الامتيازات حتى يشعر حقيقة بأنه كبير .

وأن الاهتمام بالصغير هو لعجزه وعدم مقدرته ، ويمكن عد الأمور التالية من جملة هذه الامتيازات :

مثلاً أن تَخُصُّهُ بقطعة من الحلوى وتقول له : هذه لك لأنك كبير ، ولا تعطيها لأخيك لأنه صغير ، وهذه اللعبة الجميلة لك لأنك كبير ، أما هذه الصغيرة فهي للصغير .

وكذلك يجب الحذر من إعطائه لعبة بعنوان أنها هدية له من أخيه الوليد ، لأن هذا التصرف يوحي له بالعجز عن تقديم هدية لأخيه مثلما فعل الأصغر منه ، وتزيد غيرته منه .

٣ ــ رفضُ إيذاءِهِ وقبولُ مشاعرِهِ :

لا بُدّ للأم أن تمنع بِحَزمٍ محاولة الطفل الكبير إيذاءَ أخيه الصغير بأن يرفع يده ليهوى بها عليه بأن تُمسِكَ يديه أو تُمسِكَ الحاجة التي يحملُها لضربه ، ومع ذلك تمسكه وتحضنه بعطف وتحمله بعيداً عن أخيه .

لأن الطفل بالحقيقة لا يريد إيذاء أخيه ، ولكن سوء تعامل الوالدين واهتمامهم بالرضيع دونه دَفَعَهُ إلى هذا الفعل .

لذا ينبغي على الأم أن تمنع الأذى وتقبل مشاعره الغاضبة عنده لأنه لا يملك القدرة على التحكم بها .

٤ ــ الشجار بين الإخوة :

أما الخصام بين الإخوة فيمكن علاجه كالتالي :

يجدر بالوالدين عدم التدخل في الخلافات بين الأبناء ، مادام التدخل لا فائدةً مَرجُوَّةً منه بسبب الغيرة التي هي وقود النـــزاع بين الإخوة ، والتي تحتاج إلى علاج كما أسلفنا .

هذا إن كانت الخلافات لا تتعدى الإيذاء الشديد ، وأما إذا كان أحدهما ضعيفاً يتعرض للضرب الشديد دون مقاومة ، فالأفضل في مثل هذه الحالة إيقاف النـــزاع .

وعندها يجدر بهم أن لا يستمعا إلى أي أحد من أطراف النـــزاع ، ولا الوقوف مع المظلوم أو العطف عليه ، لأن الاستماع وإبداء الرأي وإبراز العواطف لأحد دون آخر يزيد في الغيرة .

كما يجدر بالوالدين عدم إجبار طفلهم الذي انفرد باللعب أن يشارك إخوته الذين يريدون اللعب معه أو بلعبته ، لأن إجباره أيضاً يولِّدُ عنده حالة الشجار فيما بينهم .

السلوكُ الحَسَنُ لدى الطفلِ

كلُّ أمٍّ تطمحُ في أن يكون طفلها ذا سلوك حسن مع أفراد أسرته وجيرانه وأقربائه ، وتشعر بالخجل فيما لو أساء التصرف بكلمة بذيئة أو مشينة .

إضافة إلى أن الطفلَ السيء السلوك يكون منبوذاً مُحتَقَراً لدى الآخرين ، مما يؤدي إلى تعاسة الطفل وشقائه ، لذا كان من الضروري أن يَتَحَلَّى أطفالُنا بالسلوك المهذب .

و السلوك المهذب يأتي لدى الطفل في مرحلته الأولى بطبيعته تماماً ، ولكن نحتاج معه إلى أمرين :

الأول ــ التعليم والإرشاد :

إن الطفل في المرحلة الأولى من عمره يحتاج إلى تعليمِهِ الآدابَ والأسسَ التي يتعامل بها مع الآخرين كباراً وصغاراً ، وعلى تعليم هذه المرحلة من العمر تقوم أخلاقه في المرحلة الثانية .

ولذا جاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) : (دَعِ ابنَكَ يلعبُ سبعَ سنين ويُؤَدَّبُ سبعاً) .

وقد يهمل بعض الآباء ضرورة تعليم وإرشاد أبنائهم في السبع سنوات الأولى من عمرهم ، وذلك بِحُجَّةِ انشغالهم بأمور أخرى مهمة لطلب الدين أو الدنيا ، فيأتي التوجيه من الشارع الإسلامي للآباء :

فعن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال : (لَئن يؤدب أحدُكم ولداً خيرٌ له من أن يتصدقَ بنصفِ صاعٍ كلَّ يومٍ) [بحار الأنوار : ج : ١٠١ ، باب فضل الأولاد] .

وفي الحقيقة أن تأديب الطفل وتعليمه السلوك في المرحلة الأولى من عمره لا يحتاج إلى وقت بقدر ما يحتاج إلى وعي ومراقبة لسلوك الطفل والتدخل في الوقت المناسب ، مع مراعاة الشروط اللازمة ، وهي :

١ ــ ممارسة الوالدين للآداب :

إن تعليمَ آداب السلوك للطفل في المرحلة الأولى من عمره لا يأتي عن طريق إلقاء المحاضرات عليه وإسماعه بجملة من النصائح بقدرِ ما يأتي عن طريق التزام الوالدين بالسلوك .

ولا يمكن لأيِّ فردٍ أن يلتزم بنصيحة المُرَبِّي قبل أن يُلزمَ نفسَهُ بها .

ولذا نلحظ رسول الرحمة محمداً (صلى الله عليه وآله) يرفض طلب والدة منه في أن ينصحَ ولدَها بعدمِ تناولِ التمرِ بسببِ تناولِه (صلى الله عليه وآله) للتمرِ في ذلك اليوم ، وطلب منها أن تأتيَهُ يومَ غد حتى يمتنع (صلوات الله عليه) عن تناول التمر ليُمكِنَهُ نصيحةَ الطفل .

نعم إن من الصعب جداً أن تطلب الأم من طفلها أن يعيرَ لعبتَه إلى ضيفه الزائر ليلهو بها بعض الوقت ، ويجدها تمتنع من الاستجابة لطلب الجيران من استعارة ماكنة فرم اللحم .

إن الطفل يتعلم من تصرف أمه هذا ، فهو يبغي الحرص على ما يملك ، ولذا فإنه يتصرف كما يتعلم من والديه .

ومن هنا أكدَت التربية الإسلامية على ضرورة التزام الوالدين بما يطلبانه من الأبناء ، ويؤكد القرآن الكريم على هذه الحقيقة بقوله : كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف : ٣] .

٢ ــ تعليم الطفل دون غضب وتوتر :

قلنا سابقاً أن على الوالدين تعليم أولادهما أدب السلوك حتى يلتزموا به .

فالكائن البشري قابل للتعلم بخلاف الحيوان : عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [العلق : ٥] .

فالإنسان لا يمكنه النُطقَ والتكلمَ بدونِ تعليمٍ ، ولو تُرِك وحيداً لما تَعَلَّمَ الكلامَ واللُّغةَ .

أما الحيوان فيعجز عن النطق حتى مع التدريب والتعليم ، وكذلك لو تركنا صغير الإنسان مع صغير الحيوان في غرفة ، ووضعنا بجانبهما ناراً تشتعل ، نلحظ أن الصغير يتوجه إليها متصوراً أنها لعبةً جميلةً ، ويحذَرُها صغيرُ الحيوان لإدراكه بالفطرة ، أما الإنسان فيدركها من خلال التعلم والتجربة .

ومن هنا كانت مسؤولية الآباء تعليم أطفالهم ، شريطة أن يكون ذلك بدون غضب وتوتر ، فكما أن الأم ترفض من زوجها التعامل معها بغضب ، كذلك الطفل يرفض التعلم مع الغضب والتوتر .

فلا يصح على سبيل المثال أن تقول الأم للطفل وهي غاضبة : من المفروض أن تحافظ على ملابسك من الاتساخ ، فالأَولى أن تقول له بهدوء : كم هو جميلٌ أن نحافظَ على ملابسنا من الاتساخ .

إن الطريقة الأولى تجعل الطفل معاناداً للتعلم والعمل ، بعكس الثانية التي توصِلُ بسرعةٍ إلى الهدف المطلوب .

الثاني : حُبُّ الناس :

إن تنمية الاستعدادات الفطرية والغرائز المعنوية لدى الطفل أمر يعود بالنفع عليه وعلى والديه والمجتمع ، ومن هذه الغرائز حُبُّ الناس .

وذلك لأن كلَّ إنسان اجتماعي بطبعه ، وكلما ازداد حُبّاً لمن حولِهِ كلما ازدَادَت بهجَتُهُ وأُنسُهُ في الحياة .

لذا نلحظ أن الإسلام اهتم بهذا الأمر كثيراً حتى جعل العمل في خدمة الناس أمراً تعبدياً به يحصل المعبود على القرب الإلهي .

فقد جاء في الحديث القدسي : (الخَلقُ عِيالي ، أقربُكم مني مجلساً أخدمُكُم لعيالي) .

وعن مَولى المتقين علي (عليه السلام) : (إصلاحُ ذاتِ البَين خيرٌ من عامَّةِ الصلاةِ والصيام) .

وعلى هذا الأساس يجب العناية بغريزة حُبِّ الناس التي تولد مع الطفل وتحتاج إلى رعاية الوالدين لتنمو وتَتَجَذَّرَ .

ويمكن أن تكون الرعاية بالشكل التالي :

أ ــ سلوك الوالدين :

إن سلوكَ الوالدين ذو أثرٍ فعَّال على تربية الطفل وبناء شخصيته ، والمنهج التربوي في الإسلام يحمل أتباعه على الانطلاق من قاعدة حُبّ الناس في تربية النفس وفي العمل التغييري في الأمة .

فالمؤمنُ له حقوقٌ وعليه واجباتٌ ، فهو لا يَسخَرُ من أخيه ولا يُظهر عَيبَهُ ولا يخذله ولا يؤذيه ، ويكون معه في الشدَّة ، فإن سره كان في ظِلِّ الله ، وإن آثَرَهُ على نفسِهِ حصل على القُرب الإلهي و... .

وأخيراً نجد أن الملتزم بالإسلام لا يمكن إلا أن يمتلأَ قلبُه بحُبِّ الناس كلما إزداد ايماناً وارتباطاً بخالقه .

ويكتسب الطفل من والديه ويتعلم في ظلهما حُبَّ الناس حين ترحب أمه بالضيف لأنه حبيب الله .

ولا ترضى أن يُسمِعَها حديثاً من عُيُوبِ أقرانه لأنه من الغِيبة التي حرَّمَها الله ، وتعطي للجيران ما يطلبونه منها حتى لا تكـــون من المنبوذين في القرآن : وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ [الماعون : ٧] .

ب ــ المرور بالحوادث بوعي :

إن الطفل في سنواته السبع الأولى كثيراً ما يرافق والديه ويكون أكثر الوقت معهما .

ويمكن للآباء الاستفادة من بعض القضايا والحوادث لإحياء غريزته في حُبِّ الناس .

فمثلاً حين المرور على البقال لشراء بعض الخُضرَوَاتِ منه ، يمكن أن تُحَدِّثَ الأمُّ طفلَهَا عن الطعام الذي تعده من الخُضَرِ يكون بِفَضلِ البَقَّال الذي يذهب من الصباح الباكر – ونحن نائمون – إلى المزرعة ليأتينا بما نحتاج إليه من الطماطة والكرفس والخيار والبطاطا ، حيث يقوم الفلاح في المزرعة بحرث الأرض و... .

وهكذا يمكن سرد قصة تهدف إلى تكافل الناس وحُبِّ بعضهم للآخر ليستفيدَ منها في حُبِّه للآخرين .

الطُرُقُ المؤدية إلى إخماد غريزة حُبِّ الآخرين :

ومن خلال سلوك الوالدين والاستفادة من بعض القضايا والحوادث التي يَمُرُّ بها الطفل وأخرى غيرها ، يمكن إنماء غريزة حُبِّ الناس الوليدة في كل طفل.

كما نُحذِّر في الوقت نفسه من وَأدِ هذه الغريزة التي تؤدي بالطفل مستقبلاً إلى الشَّقَاءِ ، فلا يمكن العيش براحة واستقرار والقلب لا يمتلك حُبّاً للآخرين .

أما السُبُل المؤدية إلى إماتَةِ هذه الغريزة عند أطفالنا فتكون بالشكل الآتي :

أولاً ــ التعلُّم من الوالدين :

سلوك الوالدين مرةً أخرى يفرض وجوده في التعليم ، ولكنه في هذه المرة ذو بُعدٍ سلبي ، حيث يقتل الغريزة الإنسانية بَدَلَ أن يرعاها .

فالأم مثلاً حين ترفض من طفلها الذي يصرُّ على ارتداء سروال الصوف في فصل الصيف بقولها له : إن الناس تضحك عليك حين يشاهدونك وأنت بهذا الشكل .

وحين تخشى عليه من الذهاب وحده لشراء حاجة ، فتقول له : إن ذهبت وحدك فسوف يختطفونك ويسرقون ما عندك.

فإن هذه الأقاويل وغيرها مع فرض صحتها تُميتُ علاقته مع الناس وتُثبِتُ في نفسه حقداً عليهم لأنهم يقفون حائلاً دون تحقيق رغباته ، والأجدر بالآباء أن يمنعوا أبناءهم بأعذار أخرى ليس لها آثار سلبية على الطفل وبالخصوص في المرحلة الأولى من عمره .

كذلك حين تُبدي الأمُّ ضَجَرَهَا من الضيوف الزائرين ، أو تُجهِدَ نفسها وأفراد عائلتها بترتيب وتنظيم البيت لاستقبال الضيوفِ اتِّقَاءاً لكلام الناس مع أحاديثها المتواصلة عن الشرور التي تتلقاها من الناس ، وصمتها عن كثير من المعروف الذي أُسدِي إليها ، كلُّ هذه التصرفات تعكسُ للطفل أن الناسَ مصدرٌ للشرِّ والأذى دوماً .

ثانياً ــ أثر القصص الهَدَّامة :

إن للقصة أثراً بالغاً على نفسية الطفل في مرحلة حياته الأولى ، فحينما يستمع الطفل إلى القصة تكون مثل البذر الذي يستقر في التربة ليثمر بعد حين .

وينبغي على الوالدين التفكر بهدف القصة قبل سردها للطفل ، وقراءة بسيطة لقصة (ليلى والذئب) التي يعرفها أكثر أطفالنا مثلما يعرفون أسماءهم .

فتجد أنها تصور الناس بأنهم يظهرون لك الحُبَّ والولاء ويضمرون لك الشرَّ والعِداء ، وهذا من خلال شخصية الذئب ، الذي يمثل بصورة الجدَّة المُحبَّة للأطفال .

كذلك قصة (جُحا والحِمار) التي تصور الناس بأنهم يتصيدون حركات الأفراد للحديث عنهم بسوء ، ولا بُدّ من اتقاء شرورهم التي تلاحقُكَ في كل حركةٍ صحيحةٍ أو خاطئةٍ .

وقصة (قَطر النَّدَى) التي يتمركز محورها حول شخصية (زوجة الأب) المؤذية الحقودة ، التي تجعل الطفل قلقاً من أمثال هذه الشخصيات التي قد يُبتَلى بها .

والأجدرُ بالأدبِ القَصَصِي أن يَعكسَ صورة زوجة الأب بالمربية الحنونة التي تحب الأطفال وترعاهم .

ثالثاً : الإكراه في الكرم :

كثير من الآباء يفرضون حالة الكرم على أطفالهم الصغار ، فالصغير حين يحمل قطعاً من الحلوى أو يلهو بلعبته المفضلة ، تُبادرُ الأم حين مرورها بصديقة مع طفلِها أو تزورَها إحدى الصديقات ، بأن يعطيَ الطفلُ جزءاً من قطعة الحلوى أو يشاركه في اللَّعِب ، ويرفضُ طِفلُها فتُلِحُّ عليه كثيراً حتى يخشى غضبها فيعطيه الحلوى أو يشاركه في اللَّعِب .

فَفَرضُ الكرمِ على الطفل لا يخلقُ عنده خُلُق الكَرَم كما يتصور الوالدان ، بل تبعث في نفسه كراهية وحقداً للناس .

العقوبة والتهديد

تختلف العوائل بعضها عن بعض في شكل العقوبة الموجهة للأبناء ، وكلٌّ يدافع عن طريقته في العقاب وأثره في التربية .

ونحن هنا نستعرض ثلاث حالات يحتاج فيها الوالدان للعقوبة والتي هي :

١ ــ سوء السلوك :

حين يستعمل الطفل الكلمات النابية أو يُسيء للآخرين فلا يَجِدُ والدُه غير العقوبة رادعاً عن قلة الأدب .

٢ ــ التصرفات الخاطئة :

وهي حالة أخرى يوجِّهُ فيها الآباء – عادةً – العقوبةَ لأبنائهم حين يكون الطفلُ ثَرثَاراً أو غير مبالٍ في اتساخِ ملابسه وتنظيمِ حاجاته .

٣ ــ العناد :

في عدم طاعة والديه يدفع الآباء إلى عقوبة أبنائهم .

إن الآباء – وبالخصوص أولئك الذين يستخدمون العقوبة القاسية – عليهم التَرَيُّثُ قليلاً ، ليفكروا بأن ما أوصل الطفل إلى الحالة التي جعلته معانداً أو قليل الأدب أو غير ذلك هي نتيجةُ سوءِ تربيَتِهم له ، فما هو ذنب الأبناء إذن ؟

نحن لا نقول إن على الوالدين ترك أبنائهم مطلقاً دون عقاب ، بل نؤكد على اختيار العقوبة المفيدة الرادعة للطفل ، حيث نلاحظ أن أنواع العقوبة التي تَعَارَفَ عليها أفرادُ مجتَمَعِنَا هي باختصار :

الإيذاء الجسدي ، بأن يستخدم الوالدان ضرب الطفل أو شدِّه إلى أحَدِ أركانِ البيت أو حرق أجزاء بدنه ، إلى غير ذلك من العقوبات الجسدية .

الإيذاء النفسي ، مثل الشتمِ والسَّب ، أوأن يقول الوالدان للطفل : إننا لا نُحبُّكَ ، أو عدم التكلمِ معه لمدةٍ طويلةٍ ، وإلى غير ذلك من الأساليب المؤذية .

إن كل أنواع هذه العقوبة تُعتَبَرُ – حسب المنظور الإسلامي للتربية – منهجاً خاطئاً ، حيث يَنُصُّ الحديث الشريف : (دَعِ ابنَكَ يلعبُ سبعَ سنين ، ويُؤَدَّبُ سبعاً وأَلزِمهُ نفسَكَ سبعَ سنين) .

بمعنى أن السبع سنوات الأولى من حياة الطفل تحمل عنوان اللعب ، أي تعليمُهُ وإرشادُهُ دون إلزامِهِ وتَحَمُّلِهِ لمسؤولية فعله .

والعقوبة تعني تحميله مسؤوليات العمل ، إضافة إلى أن الأذى الجسدي والنفسي الذي نُسبِّبُهُ للآخرين هو من الذنوب الجسيمة التي لا ينفع الاستغفار وحدَهُ لِمَحوهَا ، بل نحتاجُ معها إلى الديَّةِ ، والديَّةُ ضريبةٌ ماليةٌ تَتَحَدَّدُ قيمتُها بالأثَرِ الذي يتركُهُ الأذى الجسدي ، وبدونها – الديَّة – لا يمكن تحقق العفو الإلهي إلا بِعَفوِ المقابلِ ورضاه .

وإن النهيَ عن استخدام العقوبة المؤذية للجسد والنفس ، لا يعني ترك الطفل يتمادى في غيِّه دونَ فعلِ شيء .

فالشارع يدعونا إلى إظهار الخطأ بشكل لطيف وبدون أذىً للطفل .

ويُعتَبَرُ هذا النوع من العقوبة من أفضل الأنواع الرادعة ، لِخُلُوِّهَا من الآثار السلبية على نفسية الطفل .

وبالإضافة إلى الجوانب الإيجابية في إعداد الطفل لتحمُّل المسؤولية في مرحلته الأولى .

وقد جاء في الحديث الشريف عن أحد أصحاب الإمام المعصوم (عليه السلام) قائلاً : (شكـــوتُ إلى أبي الحسن موسى (عليه السلام) إبناً لي ، فقال : لا تضربه ، واهجُرهُ ، ولا تُطِل) .

فالشارع الإسلامي في الوقت الذي ينهى عن استعمال الضرب الذي هو ذا أثرٍ سَيِّئٍ على الجسد .

وكذلك ينهى عن الإيذاء النفسي (لا تُطل) أي لا تُطِل مدة عدم تكليمك إياه ، والإكتفاء بهجرانه لمدة قصيرة بسبب خَطَئِهِ .

فتوضيح الخطأ للطفل من أهمِّ الأمور في هذه المرحلة ، ولكن البعض من الآباء يعاقبون أبناءهم دون أن يعرفوا ما الذي ارتكبوه ، أو أن الأم تنظر إلى طفلِها فلا تمنعُهُ من العمل الذي يمارسه .

وفي وقتٍ آخر يتعرض للعقوبة بسبب الفعلِ ذاتِهِ ، وهذه الحالة تُشَوِّشُ الطفلَ كثيراً ، فلا تجعله يميز بين الخطأ والصواب .

وحين يأتي الطفل إلى أمه باكياً لأن لعبتَه انكسرت بيديه أو عند أصدقائه ، فبكاؤه دليل معرفتِهِ للخطأ .

فلا يصُحِّ من الأم أن تعاقبه ، لأنه فهم كونه على الخطأ ، فعليها أن تداريه وأن تبدى تَأَسُّفَهَا وحُزنَهَا لما حدثَ لهُ .

التهديد :

إذا كانت العقوبة لغرض التأديب ، فليطمئِن الوالدان بأن التهديد يضعف من أثرِ التأديب .

لأن التهديد يدخل في أنواع العقوبة المؤذية التي لها آثار سلبية فضلاً عن عدم جدواها في التأديب ، وإذا لم يُنَفَّذ التهديد فهو خطأ جسيمٌ آخر لأنه يُضعِفُ من شخصية الأبوين أمام الطفل .

ومن هنا نلحظُ أن التهديدَ سواء نَفَذَ أم لم ينفذ فلا فائدة مرجوة منه ولا يَصِلُ بالوالدين إلى الهدف الذي ينشدانه في تأديب الطفل ، حتى بالتهديد المثير للذعر ، مثل تخويفه بالشرطة أو بمن يسرقه أو بالحيوان المفترس .

فيجب على الوالدين تركه لأنه يؤثر على مشاعر الطفل ويزيد في مخاوفه ويُثيرُ قَلَقَهُ .

ولعلَّ سائلاً يقول : لماذا تقرُّ التربية الإسلامية أسلوب التهديد ؟ كما جاء في الآية الكريـــمة : فَوَيــْـلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَــاهُونَ [الماعون : ٥] .

وجوابه : أن العقوبة الإلهية للعبد تختلف عن العقوبة التي يستخدمها الوالدان للطفل .

فأن العقوبة الإلهية نتيجة طبيعية لفعل العبد ، مثل حَصَادِ الأشواك لمن زَرَعَ بذرَتَهُ ، أو فَشَلِ الطالب الذي انشغل باللعب واللهو في وقت الامتحان .

وهذه تختلف عن عقوبة المربِّين بأنها عارضة على الإنسان ، مثل ضرب الوالدين للإبن لعدم اهتمامه بدراسته ، أو طرد الفلاح من المزرعة لعدم زرعه النباتات المثمرة المفيدة .

فالعقوبة الإلهية إذن نتيجة طبيعية لفعل الإنسان ، وعقوبة الوالدين نتيجة غير طبيعية لفعل الأبناء .

ومن هنا كان التهديد الذي استعمله القرآن يختلف تماماً عن التهديد الذي يستعمله المُرَبُّون ، فهناك اختلافٌ كبيرٌ بين أن تقولَ للطالب مثلاً :

الويلُ لك إن لم تَهتَم بدراستك ، فإن الفشل نصيبك ، وبين أن تقول : الويلُ لك إن أم تَهتَم بدراستك ؟ فإن الضربَ المبرحَ نصيبُك .

فالنوع الأول من التهديد مفيد في التأديب والتربية ، لأنه لا يستبطن العقوبة المؤذية .

أما النوع الثاني من التهديد فهو غير مفيد لعدم تأثيره في الفاعل للأسباب التي ذكرناها في موضوع التهديد .

ومن هنا كان الأسلوب القرآني في تربية العبد باستخدام التهديد مفيداً ومثمراً ومؤثراً .

وإن العوامل النفسية التي تكمن وراء استخدام الوالدين أنواع العقوبة القاسية تجاه أخطاء أبنائهم وكما يراها بعض علماء التربية ، هي كما يلي :

١ ــ تَعَرُّضِ الوالدين في صِغَرِهِم لنفس العقوبة التي يستعملونها مع أبنائهم كـــ(رَدَّة فعلٍ نفسية) يندفع إليها الفرد حين لا يتمكن من رَدِّ الأذى عنه في الصِغَرِ لضَعفِه .

٢ ــ تنفيس لحالة الغضب التي يعيشها المعاقب بسبب توتره من كلمةٍ أو إهانةٍ أو مشكلةٍ يعاني منها لا يقدر على مواجهتها فتنعكس على الأبناء .

٣ ــ شعور الوالدين بالعجز تجاه تصرُّفات أبنائهم الخاطئة معهم أو مع الآخرين ، لضعف شخصيتهم وعدم ثقتهم بأنفسهم ، وهذا ما يدفعهم إلى العقوبة القاسية مع أبنائهم للتغطية على ضعفهم والخروج بمظهر القوة .

مظاهر التوتر عند الطفل وأسبابه

التوترُ مرضٌ عارض يُصيب نفسيةِ الطفلِ لأسباب متعددة ، ويرافقه طيلة يومه ولا ينفك عنه ، فيفقده نشاطه ومَرَحَهُ في الحياة .

ويختلف هذا تماماً عن الغضب ، ولأن أكثر الآباء لا يميزون بين الغضب والتوتر عند الطفل نطرح أهم مظاهر هذا المرض ليتمكن الوالدان تشخيص حالة المرض عند أبنائهم وهي كالتالي :

١ ــ ضعف الثقة بالنفس :

إن كلَّ الآثار التي يُخَلِّفُها التوتر على الطفل غير مرغوبة عند الوالدين بشكل عام .

فالأم يُحزِنُها أن تجدَ طفلَها قلقاً يَقضِمُ أظفاره ويتعرض للفشل طيلة حياته في نشاطاته المختلفة ابتداءاً من المدرسة ثم حياته الزوجية والعملية .

وما نراه في مناطق كثيرة من أمم تعيش تحت سطوة الحاكم الجائر دون أن تسعى لتغيير ما عليها بكلمة أو حركة ، ترجع أسبابه إلى الأفراد الذين تَتَكَوَّن منهم تلك الأمم ممن فقدوا ثقتهم بأنفسهم فأصبحوا أذلاء .

٢ ــ الجُبن :

إن الطفل حين يخشى الظلمة أو النوم في مكان بعيد عن والديه ، أو خوفه من الماء ، وغير ذلك من المخاوف التي تجعله جباناً لا يقدم ولا يؤخر ، فكلُّ هذه المخاوفِ تأتي للطفل نتيجةَ توتره .

٣ ــ تقليد الآخرين :

الطفل في مرحلته الأولى قد يأتي والديه يوماً بحركة جديدة وتصرف غريب كلما يلتقي بأقرانه .

وحالة الطفل بهذا الشكل تثير غضب والديه متصورين الأمر مرتبطاً بانعكاس أخلاق قُرَنَاء السوء ، والأمر ليس كذلك ، بل هي حالة التوتر التي تدفعه لاكتساب هذا الخُلُق ، وذلك دون أن يتعلمه من والديه .

٤ ــ ازدياد حالة الغضب :

للغضب نوبات حيث تزيد وتنقص في الطفل في سنواته الأولى حسب حالته النفسية ، فإن كان متوتراً ازدادت عنده وتفاقمت ، وهذا مما يثير إزعاج والديه .

أسباب التوتر :

يجدر بالآباء الوقاية من المرض ، وذلك بمعرفة أسبابه وهي كالتالي :

١ ــ التعامل معه بِحِدَّة :

إن نفسية الطفل في المنظور الإسلامي لا تختلف عن الكبير ، ولذا يكون ما يزعجهم يزعجنا .

فالأم حين يتعامل أحد معها بِحِدَّة ، كأن يأمرها الزوج بعصبية وحِدَّة أن تفعل كذا ، فإنها – وبشكل طبيعي – تُصاب بحالة التوتر ، كما أنها تندفع إلى عدم الاستجابة للفعل .

فكذلك الطفل يصيبه التوتر حينما تقول له الأم بحِدَّة : إخلع ملابسك بسرعة ؟ لايعلو ضجيجك ؟ انتهِ من الطعام بسرعة وإلخ ، فيدفعه ذلك إلى التمرد والعناد وعدم الطاعة .

٢ ــ تعرضه للعقوبة القاسية :

إن استخدام العقوبة القاسية المؤذية للجسد أو النفس من قبل الوالدين ، كالضرب ، أو التحقير أو التثبيط تؤدي إلى توتر الطفل في المرحلة الأولى من عمره ، وقد نهى الشارع الإسلامي عن أمثال هذه العقوبة كما طالب الأبوين بالتجاوز عن أخطاء أبنائهم .

فقد قال رسول الرحمة (صلى الله عليه وآله) : (رَحِمَ الله من أعانَ ولدَه على برِّه ، وهو أن يعفو عن سيئتِهِ) [عدة الداعي : ٦١] .

٣ ــ شعوره بالغيرة :

إن الغيرة التي تصيب الطفل في السنوات السبع الأولى من عمره ، وبسبب سوء التعامل معه تُعَدُّ من الأسباب التي تجعل الطفل متوتراً .

٤ ــ توجيه الإنذارات إليه :

إن الطفل في مرحلته الأولى لا بُدّ أن يكون سيداً كما نَصَّت عليه التربية الإسلامية .

ومن مصاديق سيادته أن يكون البيت مُهَيَّأً لحركته ولعبه ، لأن تحذيرات الوالدين المتكررة للطفل في هذا العمر في عدم لمس هذه وعدم تحريك ذاك تجعل الطفل يعيش حالة القلق والتوتر والاضطراب .

وأخيراً وليس آخراً :

بمعرفة أسباب المرض يمكن للآباء الوقاية منه وتجنيب أبنائهم الإصابة به ، ليتمتع الطفل بالثقة التي تؤهله للنجاح في حياته ، كما يكون شجاعاً ومتمكناً من التغلب على مخاوفه .

ويرتاح الوالدان من بعض التصرفات السلبية التي تصدر على أثر توتر الطفل مثل ضعف الشخصية الذي يدفعه إلى مُحَاكَاةِ أفعال الآخرين .

إضافة إلى ازدياد نوبات الغضب عنده ، كما أن عدم معالجة نفسية الطفل المتوتر ، تعرضه للإصابة بعدة أمراض وعادات سيئة ، كالتَأَوُّهِ ، وقَضم الأظافر ، وتحريك الرمش ، والسُّعال الناشف ، وغيرها .

الغضبُ عند الطفلِ وعلاجُه

إن الغضب من الغرائز الفطرية المادية التي تولد مع الإنسان وهو يختلف تماماً عن التوتر .

فالغضب مفيد لأجل الحفاظ على النفس والدفاع عنها ، وبه يستطيع المرء رَدِّ الاعتداء والانتصار لمظلوميته ، وهو بهذا المقدار صحيح ومطلوب .

لكن زيادة الغضب بالاعتداء على المتعدي بأكثر مما سببه له مرفوض في المنظور الإسلامي ، كالتمثيل بجثة القاتل ، أو تعذيب السارق ، فتقول الآية الكريـــمة : فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَـــدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ [البقرة : ١٩٤] .

والقاعدة الفطرية الصحيحة في الإنسان هي الغضب الذي يَدفَعُ لِرَدِّ الاعتداء مقابل أي عدوان يَتَعَرَّضُ له .

ويجد الأبوان – عادة – بوادرَ الغضب عند أبنائهم وبشكل ملحوظ في السنوات ما بين الثلاث إلى الخمس ، فلا يكتفي الطفل حينها بِرَدِّ الأذى عنه ، بل يعمد إلى إيذاء نفسه بالتمرغ في الأرض وكذلك ضرب الأرض بيده ورجليه وحتى رأسه ، كما أنه قد يبادر إلى كسر ما يجده أمامه .

وإن وجدنا الطفل يقوم بهذه الحالة في الأسبوع مرة أو مرتين فهو أمر طبيعي ، لأنه يجهل الطريقة التي يَرُدُّ بها الاعتداء عن نفسه ، أو لشعوره بالعجز أمام المتعدي عليه .

أما إن تكررت هذه الحالة أكثر من ذلك فهو أمر غير طبيعي ويحتاج إلى علاج .

وقبل أن نبدأ بعلاج الحالات المرضية ، لا بُدّ أن نشير إلى أمور مهمة نُذَكِّرُ بها الآباء باعتبارهم المسئول الأول في زيادة الغضب عند أبنائهم ، فلا الوراثة لها أثر على غضب الطفل وزيادته ، ولا هو خُلق يتعلمه من الآخرين ، بل زيادته تعود إلى تعرضه لسوء التربية ، ومن أمثلة ذلك :

١ ــ تنفيذ ما يريده بعد غضبه :

إن بعض الأمهات حين يأتي الطفل إليها طالباً قطعة من الحلوى أو جَلبِ لعبةٍ معينة ، فترفض طلبه أولاً لانشغالها بحديث أو أمور المنـــزل ، يغضب الطفل ويعلو صراخه وضجيجه ، فتحاول الأم إسكاته بالغضب عليه أو بأساليب متعددة ، وهو لا يكف عن الصراخ والضجيج إلى أن تعجز الأم فتستجيب له وتعطيه ما أراد .

وهذه الطريقة تدفع الطفل إلى زيادة غضبه ، والأولى بالأم أن تستجيب له في أول الأمر أو لا تستجيب له مطلقاً ، وإن زادت المدة التي يصرخ فيها .

٢ ــ معاملتُهُ بِلُطفٍ عندَ غضبِهِ :

إن الطفل حين يغضب ويجد الوالدين يتعاملان معه بلطف في ظروف معينة ويستجيبان له في وجود الضيوف مثلاً أو في زيارة أحد الأصدقاء يتشجع على زيادة الغضب في مثل هذه الأوقات .

والأولى أن يكون التعامل بالاستجابة أو الرفض لطلباته في كل الأوقات بأسلوب واحد حتى لا يستخدم غضبه كورقة ضغط على والديه .

٣ ــ إصابته بتوتر النفس :

إن الطفل حين تُصابُ نفسيَّتُهُ بالتوتر – الذي تعود أسبابه إلى ما ذكرناه سابقاً – يتعرَّضُ إلى ازدياد نوبات الغضب وتكررها في أوقات مختلفة .

٤ ــ توجيه الأوامر إليه بصرامة :

إن الطفل في مرحلته الأولى تأبى شخصيته النامية أن توجه إليه الأوامر بِحِدَّةٍ وتَهَكُّم ، لأن عدم احترام شخصيته يعتبر أحد أنواع الاعتداء التي تثير غضب الطفل ، بل كل إنسان .

العلاج :

إن من الخطأ الاستهانة بالتصرفات التي تثير غضب الطفل وعدم الاكتراث بمعالجتها وبشكل سريع ، لأن زيادة الغضب تجعله متوتراً وبعد مرور الوقت يصبح عدوانياً مشاكساً يفتقد إلى المحب والصديق ، بل حتى إلى الحياة الحلوة الهانئة .

والطفل حين تأتيه نوبة الغضب يجدر بالوالدين التعامل معه بشكل يختلف عن التعامل معه في الأوقات الطبيعية وهو كالتالي :

١ ــ عدم مناقشته :

إن الطفل في السبع سنوات الأولى من حياته حين يغضب يصبح بشكل لا يفهم ولا يسمع ما يُقالُ له ، فالغضب يَسُدُّ منافذَ وعيهِ تماماً ، فلا فائدة إذن أن يتكلم الوالدان أو يعترضا عليه بكلمة أو فعل .

٢ ــ قبول غضبه :

حين ترفض الأم طلب طفلها في مرحلته الأولى ، يَهيج ويصرخ ويضرب رأسه بالأرض أو يحاول تكسير كل حاجة أمامه ، وينبغي أن تمسك الأم طفلها بحنان وتمنعه من حركته المؤذية لنفسه أو أحد أفراد أسرته .

والحذر في مثل هذه الحالة أن تمسكه بقبول ورضا ، لأن الغضب في هذه المرحلة – ولعدم استجابة والديه له – تُعتَبر طبيعية لا يُحاسَب عليها أولاً ، وتُقابَل بِلُطفٍ ثانياً .

٣ ــ عدم معاقبته :

يحسن بالوالدين أن يتركا الطفل الغاضب وشأنه ويتحلَّونَ بالصبر وعدم معاقبته وكذلك مكافأته .

فليس من الصحيح أن تقول الأم لطفلها الغاضب وهو في المرحلة الأولى من عمره : لو تسكت أعطيك قطعة من الحلوى ، أو تقول له : إذا لم تَكُف عن الصراخ سأضربك .

٤ ــ الاستمرار بالمطالبة :

لعل الأم تطلب من طفلها في مرحلته الأولى أن يخلع ملابسه أو يرتب أشياءَهُ بشكل ودي وجذاب ، ولكن الطفل يثور ويغضب ويرفض الاستجابة للطلب .

ففي هذه الحالة على الأم أن تتركه في حالة غضبه دون أن تقول له أو تطلب منه شيئاً ، حتى يرجع إلى وضعه الطبيعي ثم تكرر طلبها منه بشكل ودي أيضاً .

وهكذا تستمر دون عصبية وحِدَّةٍ حتى يستجيب لها ، لأجل إفهام الطفل أن الغضب لا يَحُولُ دون الانصياع للأمر فيستخدم الغضب في كل مرة لا يريد فيها الاستجابة لوالديه .

أسباب السرقة عند الأطفال

إن السرقة عمل غير مقبول عرفاً وشرعاً ، ولذا فالجميع يبغضونه وينكرونه وينظرون إلى فاعلِهِ بازدِرَاءٍ وحقَارة .

والآباء الذين يبتلون بأولاد يمارسون هذا الفعل القبيح عليهم التمييز بين الطفل الصغير ذي الثلاث سنوات وآخر يتجاوز الخمس سنوات .

فالأول لا يُميِّز بين الخير والشر ، ولذا نجده لا ينكر ما أخذه من الآخرين مقابل الثاني الذي يُخفِيهِ وينكر فعلَه .

وينبغي عدم توجيه اللَّومِ والعتابِ للطفل ذي الثلاث سنوات ما دام لا يفهم معنى السرقة وأنه عمل قبيح ، والاكتفاء بالقول له : إن صديقك الذي أخذت لعبته قد يحتاج إليها .

أو : ليس من الصحيح أن نأخذ شيئاً من الآخرين دون إذن منهم ، كما أننا لا نرضى أن يأخذ أشياءَنا أحدٌ من الناس .

أما الطفل الذي يتجاوز عمره الخمس سنوات والذي يمارس السرقة ، فلا يعني أنه لم يَتَلَقَّ التربيةَ الحسنةَ أو أن والديه يبخلان عليه بالأموال .

وإن كان هذان العاملان يدفعان بالأولاد إلى السرقة ، ولكن ليس دوماً ، فما هي يا تُرى أسباب السرقة عند الأولاد إذن ؟

١ ــ العلاقة مع الوالدين :

إن العلاقة الجافة بين الطفل ووالديه نتيجة عدم إشباع حاجته من الحُبِّ والحنان ، أو لتعرضه للعقوبة القاسية ، أو لشدتهما في التعامل معه في المرحلة الأولى من عمره ، أو لعدم تعزيز شعــوره بالاستقلال في المرحلة الثانية من عمره ، تدفع بالطفل إلى السرقة .

وذلك خصوصاً في السابعة من عمره ، لأجل أن يغدق عليه ويكسب منهم ما فقده في الأسرة من الحنان من جهة ، وأخرى للإنتقام من والديه بفعل يقدر عليه لشفاء غَيظِهِ من قساوة تعرَّضَ لها في مرحلة طفولته الأولى .

ثانياً ــ الشعور بالعُزلة :

إن شعور الطفل بالعزلة في المرحلة الثانية من عمره – وهو الوقت الذي يُؤَهِّلُهُ لاتخاذ موقعه في المجتمع وبين أقرانه – تُعتَبَرُ جزءٌ من تعاستِهِ .

لذا يندفع إلى السرقة لإغراق أصدقائه بالشراء والهدايا في محاولة لكسب ودِّهِم نحوه بعد أن فشل في كسبهم لضعف شخصيته .

أو أنه يريد أن يَتَبَاهى أمام أقرانه بفعله البطولي في السرقة لينجذبوا نحو شخصيته القوية ، كما يتصور .

كيف نتعامل مع السارق :

إن الطفل الذي يمارس السرقة في المرحلة الثانية من عمره بالرغم من عيشه بين أبويه – اللذين لا يبخلان عليه بما أمكن من الألعاب والأمور الخاصة به – تَسهُلُ معالجتَهُ وتقويمَهُ من خلال الوقاية من أسباب السرقة المتقدمة .

إضافة إلى إشباع حاجته للحنان ، والتأكيد على استقلاليته ، ومساعدته على اختيار الأصدقاء .

إن الوالدين يجب أن يتعاملوا مع أبنائهم بعد بلوغهم الخامسة من العمر – حين يمارسون السرقة – بِحَزمٍ وقُوَّةٍ .

ولا نقصد بها القَسوَةَ والشدَّةَ ، بل يكفي أن يفهم الطفل أن هذا العمل غير صحيح وغير مسموح به ، ولا بُدّ من إرجاع ما أخذه إلى أصحابه والاعتذار منهم .

ويجب الالتفات إلى نقطة مهمة ، وهي :

من الخطأ إشعار الطفل بالذُّل والعار ، لأن هذا النمط من التصرف يدفع الطفل إلى السرقة ، وذلك اندفاعاً للانتقام ممن احتقره وامتهنه .

أسبابُ الكذب عند الأطفالِ وآثارِه

إن الطفل في المرحلة الأولى من عمره قد يمارس الكذب بأن يختلق قصصاً لا وجود لها .

مثل أن يتحدث لأقرانه عن شراء أمه لفستان جميل ، أو شراء أبيه لسيارة فاخرة ، أو يتحدث لأمه عن الحيوان الجميل الذي رافقه في الطريق .

كما أن هناك نوعاً آخر من الكذب وهو إخفاء الحقيقة عن الآخرين ، مثل ادعاء الطفل أن صديقه قد كسر الزجاجة أو إنكاره لضرب أخته .

وكل هذه الأنواع من الكذب ليس من الطبيعي وجودها عند الأطفال ، لأن الصدق غريزة تولد معه ، ولا يندفع إلى الكذب الا لوجود معارض لغريزة الصدق عنده ، ويمكن إيجازُ أسبابِ الكذب عند الأطفال بما يأتي :

١ ــ جلب الانتباه :

حين تسمع الأم طفلها في المرحلة الأولى من عمره يتحدث لها عن أمور لا واقع لها ، فإن سببَهُ يرجع إلى حرصه في أن يحتل موقعاً خاصاً عند والديه اللذين لا يصغيان إليه حين يتحدث إليهما كالكبار ، فهو لا يفهم أن حديثه تافه لا معنى له .

وكذلك حين يتحدث للآخرين عن قضايا لا وجود لها فهو بهذه الطريقة أيضاً يحاول أن يجد عندهم مكاناً لِشَخصِيَّتِهِ بعد أن تَجَاهَلَهُ الأبوين في الأسرة .

٢ ــ تعرضه للعقوبة :

حين تسأل الأم طفلَها الصغير عن حاجة قد تَهَشَّمَت أو أذىً أصاب أخاه أو عِلَّةَ اتساخِ ملابسِهِ ، فلا يقول الحقيقة ويدَّعي برائَتَه من هذه الأفعال ، في حين أن نفسه تَهرَعُ لقول الصدق ، ولكن خوفه من تعرضه للعقوبة يجعله ينكر الحقيقة .

وهكذا كلما يزيد الوالدين في حِدَّتِهما وصرامَتِهما كلما ازداد الكذب تجذراً في نفسه .

٣ ــ واقع الوالدين :

إن الطفل في سنواته الأولى يتخذ من والديه مثلاً أعلى له في السلوك ، فحين يسمع أُمَّهُ تُنكرُ لأبيه خروجَهَا من المنــزل في وقتٍ اصطَحَبَتهُ معها لزيارة الجيران .

أو يجد أباه يحترم رئيس عمله ويقدِّرُهُ إذا رآه ، ثم يلعنه ويَسُبُّهُ بعد غيابه ، وغيرها تجعل الطفل يستخدم نفس الأسلوب الذي وَجَدَ أبويه عليه .

تبعات الكذب في نفسية الطفل :

إن وقاية الطفل من مرض الكذب أمر ضروري ، لأن الكذب يختلف عن غيره من الأمراض التي تُصيب النفس ، لأنه يفقد صاحبه المناعة من كل الأمراض ، وممارسة كافَّةِ الأعمال القبيحة ، تماماً مثل مرض فقدان المناعة الذي يكون صاحِبُهُ مُعَرَّضَاً للإصابة بجميع الأمراض الجسدية .

وقد جاء في النصوص الشريفة : قـــال الإمام العسكري (عليه السلام) : (جُعِلَت الخبائثُ في بيتٍ وجُعِلَ مفتاحهُ الكَذِبُ) .

وينبغي عدم التساهل في نوعية الكذب البسيط منه والكبير ، لأن الآثار السلبية الناتجة من الكذب على النفس فادحة وتوجب فقدان المناعة في النفس .

وقد ورد عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) : (اتَّقُوا الكَذِبَ الصغيرَ منه والكبيرَ في كلِّ جِدٍّ وهَزْلٍ ، فإن الرجلَ إذا كذبَ في الصغيرِ اجترأَ على الكبير) .

مطالعةُ الأطفالِ للكتُب

إن للوالدين تأثيراً كبيراً على انشداد أبنائهم نحو الكتاب ، فالطفل يُولَدُ ومعه غريزةُ طَلَبِ العلم وحُبُّهُ ، ومسؤولية الوالدين تِجَاهَ الغرائز المعنوية مثل غريزة طلب العلم ، كالفلاح الذي يرعى زرعَهُ حتى ينمو ويَتَجَذَّر .

والتقصير أو الإهمال في هذا الجانب في الصغر يدفعه إلى ممارسات لا تُحمَد عُقبَاها في الكِبَر .

والانشداد بالكتاب والرغبة في المطالعة تأتي من خلال رعاية الوالدين لغريزة طلب العلم الناشئة عند الطفل في مرحلة الطفولة الأولى ، وهي كما يلي بالتدريج :

أولاً ــ من ٢ إلى ٤ سنوات من العمر :

من الضروري أن توفر الأم لطفلها كتاباً يحتوي على الصور المختلفة والملوَّنَة ، وتجلس معه بعض الوقت كل يوم وبيَدِهَا الكتابُ وتؤشِّرُ معه على العلامات البارزة في الصورة ، فهذِهِ قِطَّةٌ ، وهَذَا بَيتٌ ، وهَذَا طِفلٌ ، وهَذِهِ أُمُّهُ ، وهكذا في كل يوم .

وعلى الأم أن تَعتَبِرَ هذا العمل جزءاً من واجباتها المنـــزلية .

ثانياً ــ من ٤ إلى ٦ سنوات من العمر :

ينبغي على الوالدين توفير أنواع أخرى من الكتب للطفل في هذه المرحلة ، فالكتاب مثل الألعاب ، يختلف مع تقدم العمر .

وفي هذه المرحلة يحتاج الطفل إلى الكتاب الذي يَتَضَمَّن القصص المصوَّرَة ، فهو في هذا العمر بإمكانه أن يربط بين الأشياء الموجودة في الصورة وبين أحداثها المتعاقبة .

وهنا ينبغي على الأم أن تجلس معه لِتَحكِيَ لَهُ عن الصورة والشخصيات التي فيها ، ثم تَنتَقِلُ معه من حَدَثٍ إلى آخر من خلال الصور .

فهذا رجلٌ مريضٌ ، وهَؤلاءِ أبناؤُهُ مُتحيِّرُونَ لا يعرفون كيف يُخَلِّصُونَهُ من الألم ، وهذه سيارةُ الإسعاف نَقَلَتهُ إلى المستشفى ، وهذا طبيبٌ مُهِمَّتُهُ مُدَاوَاةِ الناس ، وفرحَ الأبناءُ وشكروا الطبيبَ لأنهُ شَفَى أباهم من مرضِهِ .

كما ينبغي أن يمتلك الآباء بعض الكتب التي يقرأون فيها ويحافظون عليها من التلَفِ بحيث يلحظ الأطفال في هذا العمر اهتمام والديهم بالكتب .

وبالخصوص الأم التي تقضي مع الطفل وقتاً أكبر ، فعليها أن تمتلك بعض الكتب وتبدي اهتمامها بها ، ليكون ذلك درساً عملياً يشد الطفل إلى الاقتداء بها ، والتمرين في المستقبل على مطالعة الكتب النافعة التي هي في الواقع من أهم الأسباب المؤدية إلى ارتقاء الوعي والتفتح الذهني ، وامتلاك الرؤية الشمولية ، والتمكنِ من اختيارِ أفضلِ السُّبُلِ للوصولِ إلى الأهدافِ الساميةِ في الحياة .